تقسيم بولندا الثاني الأسباب والدوافع

أ.د حسن عبد علي الطائي

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ

المقدمة

مرت أوربا بحرب طاحنة خلال العصر الوسيط وشهد القرن السابع والثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر صراعات مستمرة وحروب قائمة على أساس نهب ممتلكات دولة من قبل دولة أخرى يعني هذا أم مبدأ القوة والجبروت كان هو السائد في أوربا في تلك الحقبة ولما كانت بولندا إحدى الدول الأوربية التي اشتركت في عدد كبير من الحروب فادى ذلك إلى ضعفها العسكري الأمر الذي جعلها نهباً للآخرين فقد سعت كاترين الثانية التي حكمت روسيا القيصرية بعد نيقولا الأول عام١٧٥٢ تسعى جاهدة للاستحواذ على ما خلفت بولندا وقد تعاون كل من روسيا وبروسيا والنمسا لتقسيم بولندا وحسب ما سيذكر في متن البحث.

من هذا الفهم شرعت بالبحث معتمداً على عدد من المصادر جاء من أبرزها كتاب تاريخ أوربا لفشر وكتاب محمد محمد صالح، تاريخ أوربا المعاصر وعلي حيدر سليمان في كتابه تاريخ الحضارة الأوربية، ومصادر أخرى سترد مفصلة في متن البحث.

وقد قسمت بحثي إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول تضمن الأوضاع السياسية في الدول الأربعة(روسيا– بروسيا– النمسا– بولندة) والمبحث الثاني ضمنته تقسم بولندا الأول ١٧٧٢والمبحث الثالث تضمن تقسيم بولندا الثاني ١٧٩٣ ونتفا من التقسيم الثالث.

أملا من خلال ما سأدون أن أوفق في رصد المعلومة من مصادرها ولله ولي التوفيق.

التمهيد

لقد حاول فريدريك الثاني أبان السنوات التالية لحرب السبع سنوات(١٧٥٦–١٧٦٣) أن يعوض خسائره على حساب مملكة مجاورة وهي بولندا التي كانت تشغل أراضي متسعة ولكنها كانت خاضعة اجتماعياً وسياسياً لطبقة ارستقراطية جعلت حكومتها أضعف الحكومات الأوربية لذلك اقترحت بروسيا أن تحسم المنازعات القائمة بينها وبين روسيا والنمسا بالاشتراك جميعاً في أقسام هذه البلاد المنقسمة على نفسها إلا إن روسيا قاومت سياسة التقسيم في بداية الأمر التي تؤدي بطبيعة الأمر إلى تحديد دائرة نفوذها في بولندة لا يفيد إلا روسيا وحدها، لذا حاولت القيصرة كاترين الثانية أن تحول هؤلاء الطامعين إلى تركيا التي كانت تعتبرها نقطة سوداء على الخريطة المسيحية، ولكن تركيا كانت في حالة من القوة لا تسمح بتجزئتها بغير نضال[١] ومن ثم تجدد الاهتمام بتقسيم بولندا التي تسد مطامع الطامعين بغير مقاومة منها ولا من الدول الأوربية فقديماً اقترحت انكلترا الحل البولندي لتسوية النزاع الأوربي القائم على التوسيع كذلك فرنسا متأثرة بتعاليم القرن الثامن عشر لا تتعارض في تقسيم البلاد كان النفوذ الأكبر منهل لرجال الدين[٢].

---

[١] محمد قاسم، تاريخ أوربا الحديث، مطبعة اللجنة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٤، د.ط، ص١١٥.

[٢] المصدر نفسه، ص١١٦.

المبحث الأول
الأوضاع السياسية

روسيا

لعل خوف روسيا القيصرية من أعضاء الجماعات اليهودية هو خوف العناصر الزراعية التقليدية من عنصر غريب له علاقات دولية واسعة في دولة جديدة لم تكن سلطتها قد تدعمت بعد(ولم تتدعم لمدة طويلة نظراً لترامي أطراف البلاد ونظراً لأنه عنصر تجاري له مصالحه المالية الخاصة التي لا تتفق بالضرورة مع مصالح الدولة). كما إن هناك قوى اجتماعية داخل روسيا لم يكن في صالحها ألبته السماح لليهود بالاستقرار، من أهمها التجار الروس الذين كانوا يرزخون تحت عبء الضرائب والذين كان عليهم أن يدخلوا منافسة غير متكافئة مع بعض أعضاء طبقة النبلاء الذين اشتغلوا بالتجارة والذين كانوا يتمتعون بمزايا عديدة وبمساندة البيروقراطية الحكومية[١] بل كان هؤلاء التجار يجدون أنفسهم(أحياناً) في منافسة مع الفلاحين الذين كانوا يشتغلون بالتجارة والصناعات المنزلية، كل هذا داخل سوق محدودة مكبلة بالقوانين الإقطاعية الاستبدادية التي لا حصر لها. وإذا أضفنا إلى هذا كله أن الحجم المالي للتجار الروس كان صغيراً في معظم الأحوال، لأدركنا سبب وقوف التجار الروس ضد دخول العنصر اليهودي التجاري النشيط الذي لا تكبله القيم المسيحية أو القوانين الطبقية والذي يتحكم في رأسمال سائل لا باس به. ووجد هذا الموقف صدى في نفس حكومة كانت تكتسب شيئاً من شرعيتها باعتناقها الأرثوذكسية[٢]. ورغم أن الفكر المركنتالي وجد طريقه إلى روسيا في مرحلة لاحقة، إلا إن التجار استمروا في معارضة نشاط اليهود التجاري وفي مطابقة بالحد منه حتى اندلاع الثورة البلشفية. ومن الثوابت الأخرى التي كانت عنصرا قوياً ومحدداً في السياسة الروسية القيصرية أن اليهود كانوا يشكلون عنصراً متحركاً غير مستقر على رقعة أرض مقصورة عليهم، كما هو الحال الذي خلق لهم وضعاً خاصاً ومشاكل معينة[٣].

روسيا في عهد كاترين الثانية

توفي بطرس الكبير ١٧٢٥ دون أن يعد إلى من يخلفه لأنه قتل أبنه، ولي العهد، في حياته خالفته إياه الرأي وتحدث ضغط حراس القصر أصبحت أرملته كاترينا قيصره روسيا لكن السلطة الحقيقية انتقلت إلى المجلس الأعلى المكون من رجال الدولة الكبار، واستمر لمجلس يمارس السلطة إلى حين وفاة كاترينا ف١٧٢٧، وكان بطرس الثاني ابن ولي العهد الكسيس وحفيد بطرس الكبير قاصراً ومات بالجدري قبل أن يتوج سنة١٧٣٠ فاستدعى المجلس الأعلى بعض قريبات القصيرة زوجة بطرس وهما آن وإليزابيث اللتان حكمتا روسيا على التوالي وانتقلت السلطة الفعلية إلى المجلس الأعلى. لكن الحرس لم يقبل بذلك عندئذ انتهت الإمبراطورة الفرصة فوعدت الحراس بتحسين أحوالهم الاقتصادية وامتيازهم وألغت المجلس الأعلى واسترجعت سلطتها وقربت هذه العناصر الموالية لألماني ولما توفيت آن وبعد اصطرابات شبيهة بالاضطرابات التي حدثت بعد موت بطرس الكبير ارتقت إليزابيث عرش روسيا في بداية عام١٧٤٢ وكان النبلاء الروس يؤيدون اليابيث فقربتهم وأبعدت النبلاء الميالين إلى ألمانيا[٤].

---

[١] محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر، الجامعة المستنصرية، ص١٧-١٨.

[٢] محمد محمد صالح، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص٣٦٥.

[٣] هـ.ا.ل. فشر، تاريخ أوربا، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٩٦، ج٢، ص٢٩٨.

[٤] محمد محمد صالح مصدر سابق، ص٤٤٤.

وشجعت الثقافة الفرنسية بدلاً من الثقافة الألمانية مع ذلك كانت الحضارة الغربية بثقافاتها الانكليزية والفرنسية والألمانية سائدة في البلاط الروسي كانت كاترين الثانية أميرة ألمانية بروستستانية وقيل أنها كانت ابنة فردريك الكبير وقد رشحها فردريك الكبير لتتزوج بطرس الثالث قيصر روسيا. كانت كاترين الثانية ذكية استطاعت أن تكييف نفسها للمحيط الجديد فتعلمت الروسية وقربت الروس بدلاً من الألمان وأظهرت وطنية صادقة وتظاهرت بالأرثوذكسية، وكان الناس توجهون أليها حتى في زمان زوجها بطرس الثالث لعرض مشاكلهم. ومن ناحية أخرى كانت كاترينا مع دهائها امرأة سيئة الخلق غير هيابة وبدون ضمير وحكمت روسيا بيد من حديد وأكملت أعمال بطرس الكبير.[١]

السياسة الداخلية.

قامت كاترينا الثانية بتنظيم الحكومة والإدارة وتنظيم المقاطعات التي انقسمت إليها روسيا وجعلت الإدارة مركزية مرتبطة بنفسها عن طريق حكام المقاطعات الذين كانت هي تعينهم وقد استولت على أملاك الكنيسة وجعلتها ملكاً للدولة وأصبح رجال الدين تحت سيطرة الدولة.

لقد اعتبرت كاترين الثانية نفسها من المتأثرات بفلسفة الاستنارة السائدة في ذلك الوقت. وكانت من المستنيرات المستبدات. وراسلت فولتير وديدرو، ودعمتها إلى روسيا، وأسست المدارس والأكاديميات لتعليم الطبقة العليا الروسية وجعلت اللغة الفرنسية اللغة الدبلوماسية والمجتمع الراقي. وأرسلت شباب الطبقة الارستقراطية إلى انكلترا لمعرفة آخر التطورات العلمية والفنية وخاصة في الزراعة.[٢]

لم تكن كاترين من الذين تعطف على الفلاحين وتحسين أحوالهم ولم تحاول خلاصهم من الفقر والجهل وقالت بصراحة لأحد النبلاء أن تحسين أحوال الفلاحين وتعليمهم معناه انتهاء حكم القياصرة والنبلاء. وقد هدد النبلاء المتآمرين ضدها بمنح عدد كبير من سكان المدن شرف النبل عام١٧٦٧، وأصبح النبلاء الجدد خدام أوفياء لكاترين، وقد قضت على ثورة الفلاحين بقيادة بكشاف الذي طالب بإلغاء القنانة في روسيا وأعدمت بكاشيف سنة١٧٧٥ لقد أثرت هذه الشرارة على النبلاء. وأصحاب النبلاء فساندوا القصيرة ولم يعد النبلاء يعثرونها.[٣]

سياسة كاترين الخارجية:

أصبحت روسيا دولة أوربية عظيمة في عهد كاترينا الثانية. لقد تمكن بطرس الكبير أن يقضي على سيطرة السويد ويستولي على المقطعات السويدية شرقي بحر البلطيق، وبقيت بولنا(بولينيا) والدولة العثمانية في الغرب والجنوب يجب التخلص مهما كانت دولة بولندة دولة قومية مهمة منذ القرن السادس عشر. وكانت الدولة البولندية تشمل عناصر ثلاثة، بولونيين وليتوانيين واللانقيين في كورلاند. وقد لعبت بولندة دوراً بارزاً في السياسة الأوربية في القرن السابع عشر ودافعت عن النمسا ضد الدولة العثمانية سنة١٧٨٣ لكن بحلول القرن الثامن عشر بدأت عوامل الضعف تنخر في بولندة لقد كانت بولندة فقيرة اقتصادياً لا تستطيع تأسيس جيش دائمي يواجه روسيا وبروسيا والنمسا، وكانت هناك عناصر أخرى روثينية في جنوب وألمانية في حوض البلطيق وقد مارست الحكومة البولندية نوعاً من التسامح الديني والعنصري لأن الروثينيين كانوا أرثوذكس والألمان بروتستانت. وقد طالبت العناصر المختلفة في بولندة بالمساواة وحقوق أكثر مما تمنحها الحكومة البولندية. ولما لم تنب

---

[١] محمد محمد صالح مصدر سابق، ص٤٤٥.

[٢] المصدر نفسه، ص٤٤٦.

[٣] المصدر نفسه، ص٤٤٧.

مطالبيهم استنجد الألمان بالروسيين والأرثوذكس الروثينيين بالروس. وكان فردريك الكبير وكارترينا الثانية مستعدان لتلبية النداء.[١]

ولقد كان الوضع السياسي الاجتماعي في بولندة سيئاً جداً، فقد أدت سيطرة السويد على البلطيق في نهاية القرن السابع عشر إلى ضائقة اقتصادية في بولندة. فقد انحطت الطبقة الوسطى وتقلصت ثروتهم وتدهورت المدن البولندية وبقيت الطبقة الارستقراطية النبلاء وسحاب الأراضي تمارس سيطرة سياسية، وهم في نزاع مستمر فيما بينهم واضطهدوا الفلاحين ولهذا كانت بولندا في القرن الثامن عشر في فوضى سياسية واجتماعية واقتصادية، ولما كانت الملكية انتخابية في بولندة كان الملوك المنتخبين يمنحون امتيازات واسعة للابلاء قبل انتخابهم فأصبحت الملكية ضعيفة ورمزية، واغلب ملوك بولندة المتأخرين كانوا أجانب من الألمان السكسون الذين صرفوا أموالهم لتعزيز سكسزنيا.[٢]

وكان في الدستور البولندي اتساق بين النبلاء سني لبير أم فيتو ينص على أن لا يسن قانون من قبل لبرلمان إذا وجد أحدهم أنه يعارض مصلحته ويرفضه، وقد أدى هذا القانون إلى نوع من الفوضى والبلبلة كانوا يرفضون أي قانون يمس مصلحتهم فردياً واجتماعياً.

ولما توفي أغسطس الثالث ملك بولندة بعد انتهاء حرب السبع سنوات أخذت كاترين الثانية تتدخل في شؤون بولندة وبتحريض من فردريك الكبير اقنعت نبلاء بولندة بانتخاب بوليا توفسكي أحد المقربين من القصيرة ملكاً على بولندة سنة١٧٦٤ باسم ستانسلاوس الثاني ولما أصبح هذا ملكاً أصبح الروس مسيطرين على بولندة، ولما أراد البولنديون إصلاح دستورهم تدخل الروس وأجبرهم على نبذ الفكرة.

ولما نشبت ثورة لهذه الغاية تدخل الأجانب أرسلت كاترين جيشاً لإخمادها ولما عبر الجيش الروسي بعض أراضي الدولة العثمانية للوصول إلى بولندة نشبت الحرب بين الدولتين.[٣]

بروسيا

نشأت بروسيا ونمت على يد أفراد عائلة هوهنزلرن، ففي أواخر القرن الخامس عشر امتلكت عشر هذه العائلة مقاطعة براندنبرك الواقعة حوالي مدينة برلين ولم تكن هذه المدينة حينذاك سوى قرية صغيرة.

أما المقاطعات المسماة بروسيا فإنها تقع شرقي براندبنرك ولم تدخل تحت سيادة أل هونزلون إلا حوالي القرن السابع عشر.[٤]

وفي القرن الثامن عشر رسخت الملكية المطلقة في بروسيا تحديداً في عهد فردريك الكبير واستطاع هذا أن يستخدم جيش والده وماله الوفير في أغراض شتى يعتبر فردريك أعظم ملوك تل هوهنزلرن كان شخصاً قصير القامة ذا عينين زرقاوين. أمتاز برقة الشعور في حداثته ولهذا يعزى ولعه بالفنون والموسيقى والشعر والرقص وكانت تربيته على يد والده في غاية الشدة والعنف، وعندما تسلم العرش اظهر ميلاً شديداً إلى المجد والشهرة عن طريق الحرب والفتوحات، وقد لقب بالمستبد العادل. وقد اتفق سنة ١٧٧٢ مع ماريا تريزا والدة ماريا أنطوانيت إمبراطورة النمسا وكاترين الثانية قيصره روسيا على أقسام بولونيا فوسع بذلك وقعة مملكته.[٥]

---

[١] فشر، مصدر سابق، ص٣٨٩.

[٢] محمد محمد صالح، مصدر سابق، ص٤٤٨.

[٣] عبد المجيد نعني، أوربا في بعض الأزمة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣-١٧٤٨م، بيروت-١٩٨١، ص١٥٤.

[٤] إسماعيل ياغي-عبد الفتاح أبو عيلة، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الرياض-١٩٩٧، ص٣٢٤.

[٥] محمد محمد صالح، مصدر سابق، ص٤٣٧.

ارتقاء فردريك الثاني المدعو بالكبير(١٧٤٠-١٧٨٦)

تلفت الملك الفتى حوله تلفت الأسد الجائع باحثاً عن فريسته فوجد أمامه امرأة جالسة على عرش عال تحكم مملكة واسعة الأرجاء. كانت هذه المرأة ماريا تريزا ملكة النمسا التي جاءت إلى العرش بعد وفاة والدها الإمبراطور شارل السادس آخر حكام آل هبسبرك من الذكور.[١]

وقد سعى شارل هذا فاقنع الدول الأوربية بالموافقة على وصيته التي ترك فيها عرش بلاده الواسعة لابنته ماريا. ولكنه لم يغمض عينه حتى شرع جيرانه في رسم الخطط لاقتسام ملكة وكان أولهم وأشدهم خطراً ملك بروسيا الجديد، فأبدى لابنة الملك الراحل تودداً وصداقة في أول الأمر. ثم انقض على سيليسيا من أملاكها دون أن يعلن حرباً ويقدم عذراً واضحاً. وكانت هذه المقاطعة الواقعة في الجنوب الشرقي من برنبرك تبلغ ثلثي مساحة مملكة فردريك اهتماماً عظمياً بإدارة المحاكم وتحقيق العدالة.[٢]

وقد كره الأعمال الروتينية في المحاكم وتطبيق القانون. وفي إحدى القضايا طرد الحاكم على حكم على فقير حكماً جائراً وسجنه لمدة سنة واجبره على دفع غرامة بنفسه إلى الشخص الذي صار ضحية جوره.

وقد أشرف على جمع وتبسيط قوانين الملكية وأسس فردريك أكاديمية العلوم في برلين واهتم بالتقدم العلمي والتأمل العقلي.[٣]

النمسا

يبدأ تاريخ النمسا مع سيطرة رودولف عليها، وانتصاره على الأمراء، وتحولت أسرة هبسبورغ منذ عام ١٢٧٣ الأقوى من أمراء ألمانيا، وحصلوا على مواقع أهم وأقوى في عهد شارل الرابع(١٣٧٤-١٣٧٨)الذي حكم ألمانيا ثلاثين عاماً مع بوهيميا وتخلصوا من أل لوكسمبورغ الذي كانوا يمثلون أقوى المنافسين لهم.[٤]

وكانت قوة أل هبسبورغ تكمن في ممتلكاتهم الواسعة، وسيطرة فكرة التوسع على أفراد هذه العائلة، خاصة شارل الخامس الذي كان يحلم بإقامة إمبراطورية كاثوليكية عالمية تحت زعامته مما أدى إلى إثارة الدول الأوربية الأخرى ضد الإمبراطورية، إذا خرجت من الحرب ضعيفة وفاقدة لممتلكاتها وضعف سلطتها على الأمراء الألمان.

إلا إن آل هبسبورغ استطاعوا أن يحافظوا على الأراضي التي تعرف بالممتلكات الوراثية لآل هبسبورغ، وأصبحت تعرف بـ(النمسا) أكبر دولة إقطاعية ضمن الإمبراطورية الرومانية المقدمة، وأخذت ممتلكات آل هبسبورغ منذ القرن السابع عشر تتحول إلى دولة مركزية يعد أن ساعد الخطر، ثم أن السياسة التوسعية لملوك فرنسا ساعد آل هبسبورغ على تقوية سلطتهم، وظهرت دولة كبرى هي الإمبراطورية النمساوية.

واستمر التوسع النمساوي في القرنين السابع عشر والثامن عشر على حساب بولندة المجر، واستمر الصراع النمساوي العثماني للهيمنة عل المجر، وكانت فرنسا تدعم العثمانيين للوقوف بوجه هيمنة آل هبسبورغ السياسية في أوربا.[٥]

---

[١] فشر، مصدر سابق، ص٣٦٨.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٦٩.

[٣] بالمر، روبرت، تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسين الأمين، ج١، الموصل، ١٩٦٤، ص١٤٣.

[٤] محمد قاسم، مصدر سابق، ص١١٤-١١٦.

[٥] فشر، مصدر سابق، ص٢٥٢.

بولندة

ينتمي البولنديون إلى الصقالبة السلاف، وهم يشبهون بذلك الروس اللتوانيين والتشيكيين واليوغسلافيين، وظهروا كقبيلة تغطي الأقاليم الواقعة بين نهري الأودر والفستولا، وظل تاريخهم غامضاً حتى أواخر القرن العاشر عندما انتحل ملكهم.[١]

إن ملوك بولندا المنتخبون في القرنين(١٧و١٨) كانوا من القدرة والحنكة إلا أنهم عجزوا عن إنشاء حكم قوي في البلاد لاتساع بولندا افتقارها إلى حدود طبيعية تسهل بناء التحصينات المنعية، ولقلة السكان وعدم القدرة على بناء جيش كفٍ للمحافظة على وحدتها من الاعتداءات الأجنبية، مما عرضها للغزوات الأجنبية ومن ثم طبيعة الملكية الإنتاخبي المضعف للسلطة الملكية، وانتشار الفوضى في الحكم بسبب شرعية وقانونية اعتراض أي نبيل على قانون مجلس الديات عندما يقبل وافتقار البلاد إلى كبقة وسطى مؤيدة للملك، مثل أوربا الغربية والنزاع المستمر بين البولنديين واللوانيين والكراهية المتبادلة بينهم، والخلافات المذهبية بين الكاثوليك والبروتستانت واليهود واستفاد الملوك المنتخبين وأغلبهم من الأجانب فلا يعملون لبولندا بل لبلادهم وإحاطة لوندا بجيران أقوياء يخشون توسعها هدفهم الأساس إبقاؤها ضعيفة ومفككة تعمها الفوضى، رغبة منهم في ضم بعض ممتلكات إليهم.[٢]

ضعف بولندة:

كانت بولندا أوسع ممالك أوربا يومئذ باستثناء روسيا فكانت تمتد مسافات بعيدة في سهول شاسعة لا حدود طبيعية لها، أما سكانها فكانوا من مختلف العناصر واللغات، فصلادة على البولنديين(تجد الحرمان في مدن بروسيا) والروس في لتوانيا وكذلك كون اليهود شطراً عظيماً من السكان فعجت بهم المدن وصار نصف سكان بعضها منهم كان البولنديون كاثوليكيين في غالب الأحيان أما الجرمان فكانوا من المذهب البروتستانتي وأما الروس فتمسكوا بالكنيسة الأغرقية، وهذه الاختلافات الدينية والعنصرية أوجدت بولندة لا حد لها وقسمت البلاد إلى طرائف وشعوب أخذ الواحد منها بخناق الآخر، وهي تفسر للناس المصاعب الجمة التي نشأت بعد الحرب العظمى عندما بدأت المحاولات لإيجاد وجمهور بولندية مستقلة[٣].

وعندما نلتفت إلى الحكومة البولندية نجد أن أمامنا أسوء حكومة يتصورها العقل فلم تنشأ في هذه البلاد ملكية قوية كما نشأت في جارتها(بروسيا وروسيا والنمسا) بل استمرت الدولة في حالة فوضى إقطاعية بتأثير نفوذ النبلاء والأشراف الذي حدوا من سلطة ملكهم إلى أن أصبح عاجزاً عن حفظ الأمن أو حماية البلاد من الهجمات الخارجية[٤].

لم تكن الملكية وراثية في بولندة، بل جرت العادة أن يتجمع النبلاء عند موت الملك القديم لينتخبوا ملكاً جديداً لهم وكان هذا من الغرباء عادةً. أما الانتخاب فكان دائماً سبب الفوضى والشغب ورأت الدول الأجنبية فيه

---

[١] مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤، ص٥٢٠.

[٢] المصدر نفسه، ص٥٢١.

[٣] علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية، دار واسط للدراسات، بغداد، ط١، ١٩٩٠، ص١٤٣.

[٤] محمد قاسم، مصدر سابق، ص١١٥.

خير وسيلة للتدخل بنشوء هذه الدولة الواسعة فصارت تتداخل في التلاعب، أما بالقوة أو بالرشوة لتحصل على منتخب يوافق مصالحها[١].

المبحث الثاني

تقسيم بولندة الأول الأسباب والدوافع

لا حاجة إلى بعد نظر في الأمور ليرى الإنسان الواقف سنة سبعون وسبعمائة وألف الخطر المحدق بهذه المملكة ملك ضعيف شعب متنافر بلاد فقيرة وجيران أقوياء يلتهمون طمعاً وشرهاً ويفتشون هائجين عن فريسة ينقضون عليها والفريسة في جانبهم.

وبينما كانت روسيا تحارب الدولة العثمانية اتفقت مع بروسيا والنمسا سنة ١٧٧٢ على تقسيم بولندة وأخذت روسيا كل الأراضي الواقعة شرقي نهر الدوناودنير وأخذت بروسيا الغربية باستثناء ميناء دانزك كما أخذت النمسا غاليسيا عدا مدينة كار كاو. وبذلك جردت بولندة من ربع أراضيها وخمس سكانها وفي سنة ١٧٩٣، قسمت بولندة من ربع أراضيها وخمس سكانها وفي سنة١٧٩٥ بين الدول وزالت بولندة عن خارطة أوربا.

حصلت بروسيا على مصب نهر قستولا بينما حصلت النمسا على القسم الباقي والبقية الباقية من بولندة أصبحت من حصة بروسيا.

ماتت كاترين الثانية سنة١٧٩٦ وقد تمكنت أن تجعل من روسيا دولة عظمى بوصولها إلى بحر البلطيق والبحر الأسود وضم أوكرانيا ومعظم بولندة إلى روسيا[٢].

وفي وقت تقسم بولندة كان حاكم روسيا القيصرية كاترين الثانية الشهيرة التي أثبتت إنها من أحزم الملكات اللاتي وردن ذكرهن في التاريخ وبعد مفاوضات طويلة بين بلين وسانت بطرسبرغ وفينا وقعت جاهدة عام(١٧٧٢) لتقسيم الأراضي البولندية.[٣]

دوافع تقسيم بولندة:

لم يكن فردريك بمجرد انتصاره على النمسا واستيلائه على مقاطعة هامة حيوية إضافة إلى كونها من أجمل مقاطعات النمسا لأن الأجزاء الوسطى من مملكته برند نبرك وسليسيا وبوميرانيا وبقية منفصلة عن بروسيا الشرقية فصالاً كلياً لوقوع بروسيا الغربية العائدة لبولندة بين الطرفين وكانت مملكته منفصلة إلى شطرين لاتصال بينهما في الشرق بروسيا الشرقية وفي الغرب وبوميرانيا وبرندنبرك أما في الوسط فكانت تمتد أملاك بولندا الواسعة ولم يكن فردريك ممن يسكتون عن مثل هذا الوضع خاصة بعد أن شاهد ضعف بولندة وتشتت كلمتها.[٤]

كانت بولندة أوسع ممالك في ذلك الوقت باستثناء روسيا وكانت تمتد مسافات بعيدة في سهول شاسعة لا حدود طبيعية لها أما سكانها فكان من مختلف العنصريات واللغات والأديان فعلاوة على البولنديين تجد الجرمان من مدن بروسيا والروس في لتوانيا وكذلك كون اليهود شطراً عظيماً من السكان فعجت بهم المدن وصار نصف السكان بعضهم من المذهب البروتستانتي أما الروس فتمسكوا بالكنيسة الإغريقية هذه الاختلافات

---

[١] محمد قاسم، المصدر السابق، ص١١٦.

[٢] المصدر نفسه، ص٤٤٩-٤٥٠.

[٣] محمد كمال الدسوقي، تاريخ ألمانيا، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦٩، ص١٤٦.

[٤] جفري برون، تاريخ أوربا، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦، ص٣١٩.

الدينية والعنصرية أوجدت لبولندا مشاكل لا حد لها فقسمت البلاد طوائف وشيعاً أخذ الواحد منها بخناق الآخر وهي تفسر لنا أيضاً سر المصاعب الجمة التي نشأت عندما بدأت المحاولات لإيجاد جمهورية بولندية مستقلة.[١]

وعندما نلتفت إلى الحكومة البولندية نجد أمامنا أسوء حكومة يتصورها العقل فلم تنشأ في هذه البلاد ملكية قوية كما نشأت في جاراتها (بروسي) وروسيا(النمسا) بل استمرت الدولة في حالة فوضى إقطاعية بفضل جهود النبلاء والإشراف اللذين حددوا سلطة ملكهم إلى أن يصبح عاجزاً عن حفظ الأمن عن الهجمات الخارجية[٢]. لم تكن الملكية الوراثية في بولندا بل جرت العادة أن يجتمع النبلاء عند موت الملك لينتخبوا ملكاً جديداً فكانت دائماً سبباً للفوضى والشغب وراءت الدول الأجنبية خير فيه تدخل في شئون هذه الدولة الواسعة فصار التدخل السريع باستخدام القوة والرشوة لتحصل على منتخب يوفر مصالحها كان عدد النبلاء في بولندا عظيماً جداً حتى يظن أنه بلغ المليون ونصف ولكن أكثرهم كانوا لا يملكون من المال والتراب إلا قليلاً ولم يكن هناك طبقة وسطى إلا في بعض المدن الأخرى وأما الفلاحون وكان البئوس يلازمهم كل لحظات الحياة وسقطوا إلى الدرك الأول من العبودية[٣] فكان لسيدهم الحق في رقابهم أن شاء قتلهم وإن شاء أبقى لهم الأنفاس لا حاجة إلا بعد النظر في أمور ليرى الإنسان الواقف سنة ١٧٧٠م الخطر المحدق بهذه المملكة ملكاً ضعيف وشعب متنافر فقير وجيران أقوياء يلتهمون طمعاً وشرهاً ويفتشون هائجون عن فريستاً ينقضون عليها والفريسة إلى جانبهم لذلك فلا عجب إذا انفجرت ينابيع جيوش روسيا وبروسيا في هذا الزمن الكثير كاترين الثانية الشهيرة الذي أثبتت أنها من أحزن الملكات اللاتي ورد ذكرهن في التاريخ فاتفقت مع فردريك أن لا يتركا مجالاً الإصلاح في بولندة وأن يشجعا الارتباك السائد فيها وما جاء عام١٧٧٣م إلا وكان أمراء روسيا وبروسيا والنمسا وقد اتفقوا على اقتسام المملكة فكانت حصة النمسا بقعة يسكنها ثلاثة ملين من السكان والروس[٤] وإضافة بذلك عنصرين جديدين ولغتين جديدتين إلى مجموعة العناصر اللغات المختلفة التي كانت قد جمعتها ونالت بروسيا قطعة أصغر حجماً ولكن أكثر أهمية وهي بروسيا الغربية التي كانت تشتطر أرضها شطرين مفترقين وكان سكان بروسيا الغربية من العنصر الألماني والمذهب البروتستانتي[٥] وحصلت روسيا على الجزء الشرقي في الماهول على الإطلاق استمرت وإن الدولة الروسية والبروسية في تلاعبها بمقدرات وبث الاضطرابات فيها مدة عشرين سنة ثم أعلنتا أنه لن يعد في تلاعبها بمقدرات وبث الاضطرابات فيها مدة عشرين سنة ثم أعلنتا أنه لم يعد بإمكانها احتمال هذه الاضطرابات في البلد المجاور لما فيها لخطر عليهما فقررتا تقطيعها للمرة الثانية واشتزت بروسا شطراً كبيراً من بولندة فإضافة مليوني ونصف المليون من البولنديون إلى رعاياها كما حصلت في مدن ودانزك وبوزك أما روسيا فقد حصلت على ثلاثة ملاين من الروس وبعد سنتين انزل الملك البولندي من عرشه مرغماً وقسمة بقايا المملكة الممزقة بين بروسيا وروسيا والنمسا[٦]وقد حصلت روسيا من التقسيمات الثلاثة الذي محت بولندا من خارطة أوربا إلى أيام الحرب العظمى ضعف ما حصلته بروسيا والنمسا معاً بينما كان الهون هنز لون في بروسيا يمدون سيطرتهم برلين إلى أجزاء ألمانيا الشمالية كان الهبسبرك في الجنوب الشرقي من

---

[١] جفري برون، تاريخ أوربا، ترجمة علي المرزوقي، ص٣١٩.

[٢] جفري برون، مصدر سابق، ص٣٢٠.

[٣] فشر، مصدر سابق، ص٣٨٢.

[٤] صالح، مصدر سابق، ص٢٣٣.

[٥] سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، بيروت:دار النهضة، ١٩٧٢، ص٢١١.

[٦] فشر، مصدر سابق، ص٣٨٥.

ألمانيا يجمعون بالفتح أو الإرث أمماً وعناصر شتى ليحكموها من عاصمتهم فينا وقد استمرت بعض الشعوب في قبضتهم إلى قد هوى بناء الإمبراطورية الشامخ على أركانه عام١٩١٨ وكان شار الخامس قد أعطى ملك هبسبرك في ألمانيا والنمسا لأخيه فريدنند الأول واحتفظ لنفسه بممتلكات أسبانيا وبرغنديه وايطاليا أما فريدنند فقد تزوج من وارثه مملكتي بوهيميا وهنكاريا فأضاف بذلك ملكاً إلى أملاكه ولكنه خسر هنكارية في تلك الأيام إذا احتلها الأتراك الفاتحون وهددوا أوربا الوسطى مدة سنتين طوال في عام١٣٢٦م أسس عثمان أحد قادة قبيلة الأتراك مملكة في آسيا الصغرى[١] ودعت فيما بعد باسم وفي عام١٣٥٣ كانت هذه المملكة قد اتسعت حتى كونت لها قاعدة في أوربا ثم أخذت تستولي على الأراضي القسطنطينية حتى ما مضى مئة عام البزنطين تحت حوافر خيل محمد الخيل وجنوده عام(١٤٥٣) اقلق تقدم الأتراك السريع فقامت تريد الحفاظ بينهما وتدافع عنها ووقع واجب الدفاع عن البندقية والهسبرك بالدرجة الأولى فستمر القتال مدة قرنين كاملين وتقدم الجيوش الإسلام حتى صارت فينا في الربع الأخير من القرن السابع عشر وكانت تستولي عليها لولا مساعدت ملل بولندا ومنذ فشل حصار فينا صار نفوذ العثمانيون ويتقلص سريعاً فاسترجعت النمسا وهنكاريا وتر النسفانيا واعتراف السلطان لها بتملك هذه.[٢]

وفي نهاية القرن السابع عشر وجد فردريك لماريا تريزا صفعة قوية جداً فاغتصابه سليسيا منها لأن هذه المقاطعة كانت تتكلم الألمانية وضياعها من الهسبرك معناه تقليص نفوذهم داخل الإمبراطورية الألمانية نفسها ذلك التقليص الذي لم تستطيع النمسا أن تعوض عليه بالأراضي الواسعة التي حصلت عليها من اقتسام بولندا التي كانت أكبر مساحة من سيلسيا لأن سكان هذه الأراضي كان من العنصر البولندي فأضافوا بدخولهم إمبراطورية هبسبرك مشكلة جديدة إلى المشاكل العنصرية التي كانت تتألم منها البلاد فبإضافة إلى العنصر الألماني الساكن في النمسا من العنصر الجيوسلوفاكي الممزوج بالألماني في بوهيميا وموارفيا الهنغاري أو المجري مع الروماني وبعض العناصر الأخرى والكرواتي والسلوفاتي في الجنوب والإيطالي في ميلان وتوسكاني والفلنكي والوواني في الأراضي المنخفضة ضم العنصر الآن العنصر البولوني زاد في هذا الثوب المرقع ألواناً جديدة في إدارة مجموعة هذه الأمم لمتباينة ودينها ولغتها أشكالاً وتعقيداً لذلك كانت المشكلة التي جابهت ماريا تريزا[٣] وابنها جوزيف الثاني أعظم بكثير من المشاكل التي جابهت ملوك الإنكليز والفرنسيين لأن هؤلاء كانوا يحكمون أمماً ذات ثقافة واحدة وشعور عام بالمصلحة أما هنا فلم يكن بالإمكان توحيد الشهور بين البولنديين والإيطاليين والمجرين والألمان وبدل أن تتحد هذه العناصر في دولة واحدة صارت تتضارب وتتنافس في ما بينها وتقوم بالثورات ضد الحكومة المركزية في فينا ولما اشتبك آل هبسبرك في الحرب العظمى وتمزقت مملكة أوربا وقامت كل أمة بمفردها وأنزلت عن حكمها الأولين[٤].

المبحث الثالث

تقسيم بولندة الثاني ١٧٩٣

استمرت الدولتان الروسية والبروسية في تلاعبها بمقدرات بولندا وبث الاضطرابات فيها مدة عشرين سنة. ثم أعلنتا أنه لم يعد بإمكانها احتمال هذه الاضطرابات في البلد المجاور لما فيها من خطر عليها فقرتنا

---

[١] عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ المعاصر أوربا، القاهرة، ١٩٨٢، ص٨٨.

[٢] جفري بون، مصدر سابق، ص٣٢٣.

[٣] نعمة، كاظم هاشم: الوجيز في تاريخ أوربا، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٤٢.

[٤] جفري برون، مصدر سابق، ص٣٢٤.

تقطيعها للمرة الثانية. واجتزت بروسيا شطراً كبيراً من بولندة فأضافت مليوناً ونصف المليون من البولونيين إلى رعاياها، كما حصلت على مدن ثورن ودانزاك وبوزن أما محصول الروسية من هذه الوليمة فكان ثلاث ملايين من الروس وبعد سنتين من ذلك انزل الملك البولندي من عرشه مرغماً وقسمت بقايا المملكة الممزقة بين بروسيا وروسيا والنمسا بعد جدال مر عنيف قد حصلت روسيا من التقسيمات الثلاثة التي محت مملكة بولندة من خارطة أوربا إلى أيام الحرب العظمى ضع ما حصلت عليه بروسيا والنمسا معاً.[١]

وكانت كاترين وفردريك وليم قد وقعا هذا الاتفاق في ٢٣ يناير، ولكنها تكتما أمره حتى ٢٨ فبراير. أما بوتوكي فقد استنفر البولنديين من جميع الأحزاب ليهبوا دفاعاً عن بولندة؛ فضحكوا منه، وندد به يوزف خائناً لوطنه، وتحداه للمبارزة، ولكن ستانلاس منعها. وبمقتضى هذا التقسيم الثاني حصلت روسيا على ٨٩.٠٠٠ ميل مربع من بولندة الشرقية، يعيش ٣.٠٠٠.٠٠٠من السكان، بما هذا فلنو ومنسك؛ أما بروسيا فأخذت ٢٣.٠٠٠ ميل مربع من بولندة الغربية[٢]، يعيش فيها ١.٠٠٠.٠٠٠من السكان بما فيها دانتزج وتورن؛ وبقي بولندة ٨٠.٠٠٠ميل مربع و٤.٠٠٠.٠٠٠نسمة- وهو يقرب منة نصف ما ترك لها قبل في ١٧٧٣. ولم يكن للنمسا نصيب في هذه الغنيمة الثانية، ولكن هدأتها الوعود الروسية بمساعدتها في الحصول على بافاريا. أما الدول الغربية التي كانت لا تزال منهمكة في صراعها مع فرنسا الثائرة فلم تتخذ أي إجراء ضد هذا الاغتصاب الثاني، الذي عللته لها كاترين بأنه ضرورة اقتضاها تطور الدعوة الثورية في وارسو، التي تهدد بالخطر جميع الملكيات.[٣]

توقيع المعاهدات مع روسيا:

ولكي تلبس هذه السرقة شوب الشرعية أمرت بونيا توفسكي أن يدعو الديت للاجتماع في جرودنو، وأمرته بالحضور بشخصه ليوقع على تحالف مع روسيا فأبى الذهاب أول الأمر، ولكن حين عرضت الوفاء بديونه- التي بلغت ١.٥٦٦.٠٠٠ دوقاتية- قبل هذا الإذلال الجديد خدمة لدائنيه. وزود السفير الروسي بالمال لرشوة عدد كاف من النواب ليحضروا اجتماع الديت، ولم يجد عناء في رشوة عدة أعضاء من بطانة الملك ليفشوا كل كلمة فاه بها سيدهم وكل عمل أتاه. وأمكن إقناع هذا" الديت الأخير" (١٧ يونيو إلى ٢٣ نوفمبر١٧٩٣) بأن يوقع معاهدة مع روسيا، ولكنه ظل شهوراً يأبى تصديق على التقسيم الثاني. وقيل للأعضاء أنهم ممنوعون من مغادرة القاعة حتى يوقعوا، فظلوا على رفضهم وجلسوا صامتين اثنتي عشرة ساعة. ثم طرح الرئيس المسألة للتصويت، فلما لم يسمع جواباً أن السكوت علامة الرضا(٢٥ سبتمبر). وعاد ما بقي من أرض بولندة محمية روسية؛ وأعيد دستور ١٧٧٥.[٤]

وإذا كان في استطاعة رجل واحد أن يفتدي الأمة فذلك هو كوتشيوسكو أمده التشارتوريسكيون بالمال فذهب إلى باريس(يناير ١٧٩٣) والتمس معونة فرنسا لبلد يتعاطف في حرارة مع الثورة الفرنسية. وتعهد بأنه لو

---

[١] ياغي، إسماعيل، عبد الفتاح حسن أبو عليهن تاريخ أوربا الحديث والمعاصرون الرياض، ١٩٧٩، ص٢١١.

[٢] فشر، مصدر سابق، ص٣٧٤.

[٣] محمد فؤاد شكر ومحمد أنيس، أوربا في التاريخ المعاصر، مطبعة مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج١، ط٢، ١٩٦٢، ص١٩٣.

[٤] محمد فؤاد شكر ومحمد أنيس، أوربا في التاريخ المعاصر، ص١٩٤.

مدت فرنسا يد المعونة لبولندة لهب الفلاحون البولنديون في ثورة على القنية. وأهل المدن على النبلاء، وقال إن بونياتوفسكي سينزل عن عرشه ليكون النظام جمهورياً، وإن جيشاً بولندياً سيساند فرنسا في حربها مع بروسيا.[١]

تقسيم بولندا الثاني الأسباب والدوافع

اعترفت جميع الدول بالدستور الجديد إلا روسيا. ووصفه إدموند بيرك بأنه" أنبل امتياز نالته أمة في أي زمان" وصرح بأنه ستانسلاس الثاني قد تبوأ مكاناً في التاريخ بين عظماء الملوك ورجال الدولة، ولكن هذه الحماسة ربما كانت انعكاساً لابتهاج انجلترة بهزيمة كاترين. وأخفت الإمبراطورة حيناً عداءها لبولندة الجديدة، ولكنها لم تغفر طرد جيشها منها على عجل، ولا إحلال النفوذ الروسي محل الروسي في الشئون البولندية. فلما أنهت معاهدة ياسي(٩ يناير ١٧٩٢) حربها مع تركيا، وتحررت من الخوف من شريكيها السابقين في الجريمة– بروسيا والنمسا– لتطورهما في الحرب ضد فرنسا الثائرة(أبريل ١٧٩٢)، تلفتت حولها تبحث عن مدخل جديد إلى بولندة.[٢]

وقد هيأه لها البولنديون المحافظون، إذ وافقوا كاترين كل الموافقة على أن الدستور بونياتوفسكي قد صدق عليه ديت جمع على عجل بحيث لم يستطيع أشراف كثيرون حضوره. وكان فيلكس بوتوكي وغيره من الأقطاب ساخطين أشد السخط على التخلي عن حق النقض المطلق الذي ضمن لهم القوة أمام السلطة المركزية، ولم يكونوا راغبين في النزول عن حقهم في انتخاب الملك، وفي الهيمنة عليه تبعاً لذلك. ورفض بوتوكي حلف يمين الولاء للمرسوم الجديد، ثم قاد جماعة من النبلاء إلى سانت بطسبرج وطلب إلى الإمبراطورة أن تساعدهم على إعادة الدستور الأقدم(دستور ١٧٧٥) الذي سبق أن تعهدت بحمايته[٣]. فأجابت بأنها لا تريد التدخل في بولندة بناء على طلب أفراد قليلين، ولكنها ستنظر في نداء من أقلية بولندية منظمة يعتد بها، وأحيط فردريك وليم الثاني علماً بهذه المفاوضات، وكان متورطاً في الحرب ضد فرنسا، كارهاً لخوض حرب ضد روسيا، فأخير الحكومة البولندية (٤حزيران ١٧٩٢) بأنها إن كانت تنوي الدفاع عن دستورها الجديد بقوة السلاح فعليها ألا تتوقع الدعم من بروسيا وقف بوتوكي إلى بولندة، وألف عام(١٧٩٢)، في بلدة بأوكرانيا، اتحاد تارجوفيكا، ودعا للانضواء تحت لواء كل الذين يريدون إعادة الدستور القديم. وقب أتباعه أنفسهم بالجمهوريين[٤]، وأدانوا تحالف بولندة مع بروسيا، وأثنوا على كاترين، والتمسوا بركتها وطلبوا جيشها. فأرسلتهما جميعاً، وزحف الاتحاديون على وارسو بعد أن توفر لهم هذا الدعم. وكانت دعوتهم إلى" الحرية" قد أحدثت بعض التأثير، لأن مدناً عديدة أستقبلتهم استقبالاً للمحررين؛ وفي تريسابول في نفس العام رحب القوم ببوتوكي كأنه فعلاً ملك بولندة الجديد. ودعا بونياتوفسكي الديت أن يعطيه كل السلطات التي تلزم للدفاع. فعينه دكتاتوراً، ودعا كل الذكور البالغين من البولنديين للخدمة العسكرية، ثم رفض وعين بونياتوفسكي ابن أخيه، الأمير يوزف بونياتوفسكي ذا التسعة والعشرين عاماً، قائداً أعلى للجيش الذي وجد مفتقراً إلى التدريب ومجهزاً أسوء تجهيز. وأمر يوزيف جميع كتائب الجيش بأن تنضم إليه في لوبار على نهر سلوتش، ولكن القوات الروسية كانت قد طوقت الكثيرين فلم يستطيعوا الحضور، والذين حضروا كانوا أضعف من أن يقفوا الزحف الروسي. وتقهقر الشباب إلى بولون، مركز إمداداته

---

[١] محمد فؤاد، مصدر سابق، ص١٩٥.

[٢] كارلتون هيز، التاريخ الأوربي الحديث(١٧٨٩–١٩١٤) ترجمة: فاضل حسين، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٧م، ص٣٨٢.

[٣] المصدر نفسه، ص٣٨٣.

[٤] محمد قاسم، مصدر سابق، ص٣٦٨.

تقهقراً منظماً أتاحه قتال المؤخرة الباسل بقيادة تاديوس كوتشيوسكو، الذي كان قد حارب من قبل في صفوف المستعمرات في أمريكا، وكان وهو في السادسة والأربعين عريقاً في أمجاد الوطنية والحرب.[١]

ضعف القوة العسكرية البولندية والخيانة

لم يبق من أسباب الدفاع عن بولندة الآن غير جيش يوزف، وكانت مؤنه وعتاده من الضآلة أفواجه إلى الصيام أربعاً وعشرين ساعة، ولم تملك المدفعية غير إثني عشر صندوقاً من الذخيرة. فأمر الأمير بالتقهقر إلى دوبنو؛ فلما رمى بالجبن ثبت عند دوبينكا(١٨ آب) واستطاع بجيشه البالغ ١٢.٥٠٠ مقاتل أن يتعادل مع ٢٨.٠٠٠ مقاتل روسي. ثم تقهقر بنظام حسن إلى كوروف، حيث انتظر وصول التعزيزات والمؤن التي وعد بها الملك. ولكن ستانسلاس كان قد يئس. ذلك أن رفض فردريك وليم الثاني أن ينفذ شروط الحلف البروسي البولندي، وخيانة الأمير لودفج، وهروب المئات من الجيش الذي جمعه في براجا– كل أولئك كل فوق ما تطيقه روحه التي لم تكن يوماً ما شديدة البسالة. وعليه فقد أرسل نداءً شخصياً لكاترين يلتمس شروطاً مشرفة، وكان جوابها(٢٣ يوليو) إنذاراً نهائياً يشترط الإنضمام إلى إتحاد تاجوفيكا وإعادة دستور ١٧٧٥.[٢]

الانهيار التام لبولندا

أرسل السفير الروسي الجديد، ياكوف سييفرس، إلى أخته وصفاً ملؤه العطف يصور فيه بونياتوفسكي في هذه الساعة، ساعة الانهيار البدني والروحي قال: "لم يزال الملك(في عامه الستين) رجلاً وسيماً أنيقاً، وإن كان وجهه شاحباً، ولكن في وسع المرء أن يرى ستاراً قائماً قد أسدل على روحه. إنه يحسن الحديث، بل يتحدث بفصاحة، وهو مجامل حسن الاستماع دائماً ومع الجميع، ومسكن سيء، وهو مهمل، مزدري مخذول، ومع ذلك فهو ألطف الناس جميعاً. وإذا غضضت النظر عن منصبه الرفيع، وتأملته من وجهة النظر الشخصية فقط، قلت إن فضائله ترجح رذائله. ولا ريب في أنه أسوء الملوك حظاً بعد لويس السادس عشر. إنه يحب أقرباءه حباً جماً، وهؤلاء الناس هم علة نكباته كلها.[٣]

وفي ٢٤ حزيران ١٧٩٢ قرأ بونياتوفسكي الإنذار النهائي الروسي على مستشاريه الخصوصيين، ونصحهم بأن يركنوا إلى سماحة كاترين وشهامتها. واحتج كثيرون منهم على هذه السذاجة. واقترح أحدهم المدعو مالا خوفسكي أن يجمع في ساعة واحدة ١٠٠.٠٠٠ جولدن لأغراض الدفاع، وألح على أن الجيش البولندي يستطيع– حتى إذا اقتضى الأمر التخلي عن وارسو–أن يتقهقر إلى كاركاو ويجند جيشاً جديداً في الجنوب الآهل بالسكان.[٤] وهزم اقتراح بونياتوفسكي بالتسليم في المجلس بأغلبية عشرين صوتاً ضد سبعة. ولكنه أبطل قرارهم بحكم سلطته دكتاتوراً، وأمر ابن أخيه بالكف عن المقاومة. ورد يوزف بأن على الملك بدلاً من هذا التسليم أن يبادر إلى الجبهة بما يستطيع جمعه من قوات ويقاتل إلى النهاية. فلما أصر ستانسلاس على انضمام الجيش إلى الإتحاد أرسل إليه جميع الضباط إلا واحداً استقالاتهم وعاد يوزف إلى موطنه السابق في فينا. وفي ٥أغسطس احتل جيش روسي برجاً. وفي أكتوبر أرسل يوزف رجاء إلى عمه يدعوه لاعتزال ملكه قبل أن تزول البقية الباقية من الشرف. وفي نوفمبر دخل بوتوكي مع طلائع جيش الاتحاديين وارسو دخول الظافر، وألقى على بونياتوفسكي درساً في واجبات الملك. ولكن انتصار بوتوكي تبين بعد قليل أنه كارثة، لأن الجنود البروسيين

---

[١] كالترون هيز، مصدر سابق، ص٢١٧.

[٢] راشد، زينب عصمت، المختصر في تاريخ أوربا الحديث، القاهرة، ١٩٧٠، ص٢٣٢.

[٣] فشر، مصدر سابق، ص٣٨٤.

[٤] محمد محمد صالح، مصدر سابق، ص٢٩٥.

دخلوا بولندة في عام١٧٩٣، وأصلوا زحفهم ليحتلوا دانتزج وتورن، دون أن يطلق حلفاء بوتوكي الروس رصاصة ليمنعوهم. ووضح أن روسيا وبروسيا قد اتفقتا على تقسيم بولندة ثانيةً.[١]

بولندة والتقسيم الثالث

في ٤أبريل هاجم بأربعة آلاف نظامي وألفي فلاح مجند قوة عدتها سبعة آلاف روسي في راتسلافيس قرب كرا كاو، وهزمها بفضل براعة قيادته من جهة وفاعلية مناجل الفلاحين من جهة أخرى.[٢]

فلما سمع فريق الرايكاليين أو "اليعقوبيين" في وارسو بهذا النصر نظم رجاله عصياً مسلحاً انضم إليه الزعماء من الطبقة الوسطى في تردد. وفي ١٧أبريل هاجم هؤلاء الثوار الحامية الروسية المؤلفة من ٧.٥٠٠مقاتل، وقتلوا كثيرين منهم، وهزموا فرقة بروسية من ١٦٥٠ جندي، وهربت قوات الاحتلال، وخضعت وارسو لحظة للسيطرة البولندية. وحررت انتفاضة كهذه مدينة فلنو(٢٣أبريل) وشنقت هتمان(زعيم) لتوانيا الأكبر، واستردت أجزاء من بولندة حتى منسك تقريباً. وفي ٧مايو وعد كوتشوسكو الإقنان بعتقهم، وكفل لهم تملك الأراض التي يزرعونها. وانضوى تحت لوائه خلق كثير من المتطوعين والمجندين حتى اجتمع له في يونيو ١٧٩٤(١٥٠.٠٠٠) رجل لم يكن منهم حسن التجهيز أكثر من ٨٠.٠٠٠على هؤلاء تدفقت الموجات المتتالية من الجنود الروسية أو البروسية المدربة. وفي ٦يونيو فاجأ جيش متحالف من ٢٦.٠٠٠ مقاتل البولنديين قرب تشيكوسيني، ولم يتح لكوتشيوسكو من الوقت إلا ما يجلب فيه ١٤.٠٠٠ مقاتل فقط. فهزم بخسائر فادحة، والتمس الموت فلنو؛ وفي ١٩ سبتمبر أبادت قوة روسية من ١٢.٥٠٠ من الجنود المتمرسين بالقتال بقيادة سوقوروف جيشاً بولندياً من ٥.٥٠٠مقاتل عند تريسابول؛ وفي ١٠ أكتوبر هزم ١٣.٠٠٠روسي كوتشيوسكو نفسه وهو يقود ٧.٠٠٠بولندي عندما سيسجويس، وجرح جرحاً خطيراً وأسر .ولم يفه كما زعمت الأسطورة بصرخة اليأس "لقد قضى على بولندة! " ولكن الهزيمة كانت قاضية على الثورة الباسلة.

أما سوفروف فقد وحد مختلف الجيوش الروسية واقتحم معسكر البولنديين الحصين في براجا، وراح جنوده الذين أصابهم جنون المعركة يذبحون لا المدافعين فقط بل سكان البلدة المدنيين. وسلم بونياتوفسكي وارسو تفادياً لمذبحة أشد بشاعة. وأرسل سوفوروف كوتشيوسكو وغيره من زعماء الثوار إلى حيث السجن في سانت بطرسبرج، وأرسل الملك إلى جرودنو ليكون رهن إشارة الإمبراطورة، وهناك، في ٢٥نوفمبر١٧٩٥، وقع على اعتزاله الملك، وتوسل إلى كاترين أن تبقى على جزء من بولندة، ولكنها صمتت على أن تحل المسألة البولندية بالقضاء على الأمة البولندية كما ظنت. وبعد خمسة عشر شهراً من النزاع، وقعت روسيا وبروسيا والنمسا معاهدة التقسيم الثالث (٢٦يناير١٧٩٧)واستولت روسيا على كورلاند ولتوانيا وغربي بودوليا وفولينيا١٨١.٠٠٠ميل مربع؛ وأخذت بروسيا الباقي بما فيه وارسو٥٧.٠٠٠ميل مربع. وفي التقسيمات الثلاثة كلها استوعبت روسيا نحو٦.٠٠٠.٠٠٠من سكان بولندة البالغين ١٢.٢٠٠.٠٠٠نسمة (١٧٩٧)، والنمسا ٣.٧٠٠.٠٠٠، بروسيا ٢.٥٠٠.٠٠٠نسمة.[٣]

فرار البولنديون من بلدهم:

وفر الآلف البولنديون من وطنهم، وتسلم الأجانب الأملاك المصادرة، وظل بونياتوفسكي في جرودنو، يتسلى بدراسة النبات ويكتب مذكراته. وبعد موت كاترين دعاه بولس الأول إلى سانت بطرسبرج وخصص له

---

[١] محمد محمد صالح، مصدر سابق، ص٢٩٦.

[٢] علي حيدر سليمان، مصدر سابقا، ص١٤٤.

[٣] هدية، عبد الله، تاريخ أوربا ١٧٨٣-١٩١٧م، مكتبة أم القرى، الكويت ١٩٨٨، ص١٦٨.

القصر الرخامي و١٠٠.٠٠٠دوقاتية في العام، وهناك مات في ١٢فبراير ١٧٩٨ بعد أن بلغ السادسة والستين. أما كوتشيوسكو فقد أفرج عنه الإمبراطور بولس في ١٧٩٦.[١]

الخاتمة

من خلال ما تقدم نستطيع الاستنتاج أن بولندة لم تكن قادرة على مقاومة روسيا وبروسيا والنمسا تلك القوى التي قسمتها مرات ثلاث(١٧٩٢و ١٧٩٣و١٧٨٥ ١٧٩٦) فيما بينها، وبهذا التقسيم لم تعد بولندة دولة لها وجود سياسي، لكنها استمرت كثقافة غنية أدباً وفناً وكشعب تواق للحرية. وكان كل البولنديين تقريباً من السلاف فيما عدا جيب ألماني في الغرب وقلة يهودية في وارسو(فراسفا)وفي شرقي البلاد. وكان البولنديين كاثوليكيا متحمسين لأن هذه العقيدة(الكاثوليكية) كانت تواسيهم في أحزانهم وتعطيهم الأمل في الخلاص وتحفظ النظام الاجتماعي في ظل دولة محطمة، لذا فقد أدانوا الهرطقة واعتبروها خيانة(المقصود بالهرطقة هنا الخروج عن الكاثوليكية) فكان نزوعهم الوطني غير متسم بالتسامح ولم يكن أحد من البولنديين–خلا الذين تلقوا قسطاً وافراً من التعليم–بقادر على الشعور بالتآخي مع اليهود الذين تفوقوا في مضمار التجارة والمهن، أما اليهود الفقراء الذين يحملون سمات العزلة (الجيتو) وبؤسها فكان التعاطف معهم أقل بكثير.

المصادر

١– إسماعيل ياغي، عبد الفتاح حسن أبو عيله، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الرياض –.١٩٧٩

٢– بالمر، روبروت، تاريخ العلم الحديث، ترجمة محمود حسين الأمين، الموصل، ١٩٦٤.

٣– جفري برون، تاريخ أوربا، ترجمة: علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

٤– سعيد عب الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، بيروت: دار النهضة، .١٩٧٢

٥– راشد، زينب عصمت، المختصر في تاريخ أوربا الحديث، القاهرة، ١٩٧٠م.

٦– علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية، دار واسط للدراسات، بغداد، ط١، .١٩٩٠

٧– عبد العزيز سليمان، التاريخ المعاصر أوربا، القاهرة، ١٩٨٢، ص.٨٨

٨– عبد المجيد نعني، أوربا في بعض الأزمة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣–١٨٤٨م، بيروت–١٩٨١.

٩– كارلتون هيز، التاريخ الأوربي الحديث(١٧٨٩–١٩١٤) ترجمة: فاضل حسين مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.

١٠– محمد قاسم، تاريخ أوربا الحديث، مطبعة اللجنة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٤، د.ط.

١١– محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر، الجامعة المستنصرية.

١٢– محمد محمد صالح، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، كلية الآداب، جامعة بغداد، .١٩٨٢

١٣– مفيد الزبيدي، موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤.

١٤– محمد كمال الدسوقي، تاريخ ألمانيا، مطبعة دار المعارف، مصر، .١٩٦٩

١٥– محمد فؤاد شكر ومحمد أنيس، أوربا التاريخ المعاصر، مطبعة مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط٢، .١٩٦٢

١٦– نعمة، كاظم هاشم، الوجيز في تاريخ أوربا، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٠.

١٧– هـ.ا.ل. فشر، تاريخ أوربا، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦.

١٨– هدية، عبد الله، تاريخ أوربا١٧٨٣–١٩٧١م، مكتبة أم القرى، الكويت، .١٩٨٨

١٩- يحيى، جلال: العالم المعاصر، دار الكتب الجامعية، بيروت، ١٩٧٦.

[١] يحيى، جلال: العالم المعاصر، دار الكتب الجامعية، بيروت، ١٩٧٦، ص٣٤٠–٣٤٤.